الأحرف القرآنية السبعة

وحقيقتها وما يتعلق بذلك

الكاتب

محمد عبدالرحيم الطرشاوي

" الأحرف القرآنيّة السّبعة وحقيقتها "

وما يتعلّق بذلك

إعداد

محمد عبد الرحيم الطَّرْشاوي

باحث في الدّراسات الإسلامية

٢٠١٤م

رقم إيداع	١٦٦١٧/ ٧/ ٢٠٢٥م
الترقيم الدّولي	978-977-95-3353-7

جميع حقوق النشر محفوظة إلا لطالب أو باحث

بقصد الاستفادة العلميّة لا الرّبحية

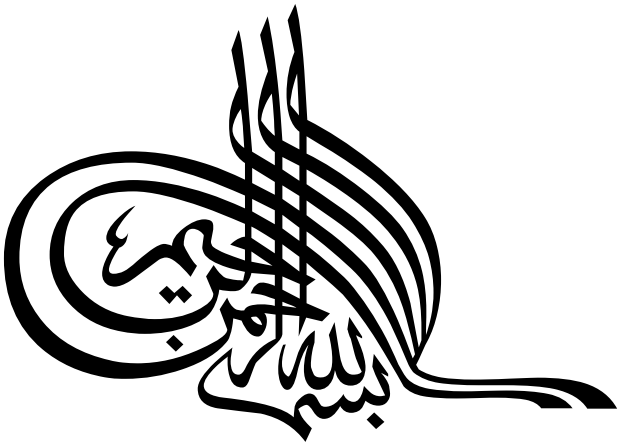

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، صاحب أشرف الرسالات، وعلى آله وصحبه أولي الفضائل والمَكرُمات، صلاةً وسلامًا نستجلب بها الرّحمات، ونستدفِع بها النّقَم والبليّات. وبعد:

فهذا بحث في تحقيق المراد بـ (الأحرف السّبعة) التي وردت في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم، في قوله الشريف: " أنزل القرآن على سبعة أحرف " [1]. حملني على البحث فيه، دقّة هذه المسألة من مسائل علوم القرآن، وما جرى فيها من اختلاف كبير في تأويلها [2]، مما أحدث التباسًا في تحرير المقصود بها فصار مما يُشْكِل عند الكثير. وطالما قرأتُ هذا الحديث في هذه الأحرف التي أنزل عليها القرآن العظيم، ولم يُشفَ لي غليلٌ في معناها، يتضح في الذّهن.

فاستعنتُ الله – جلّ وعلا – على أن أزيل هذا الإشكال عن نفسي وعن إخواني المسلمين، لعله يتّضح من خلاله المرادُ في هذه المسألة المهمة. والتي أهمّيتها من أهميّة القرآن المقدَّس. ولعلّه أن ينفعني الله ﷻ بهذا البحث والمستفيدَ.

وقد اشتمل المباحث الاتية:

- تخريج حديث الأحرف السّبعة.

- تعريف معنى (الأحرف) لغة، واصطلاحًا.

- البحث في أقوال العلماء في تفسير معنى: الأحرف.

- جمع الأقوال الأقرب إلى الصواب، كما يظهر لي، ومن ثمّ تأليف هذه الأقوال.

- ذكر ما ترجّح لديّ منها والأدلّة على هذا الترجيح.

- تذييل البحث بما له وثيق صلة بهذا الموضوع؛ إتمامًا للفائدة، كما يلي:

* نشأة الأحرف السّبعة التاريخية، وما آلت إليه الآن.

* الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف.

---

[1] متّفق عليه كما سيأتي بحثه قريبًا.

[2] قال الإمام ابن الجزري لا زلتُ استشكِل هذا الحديث – يقصد حديث الأحرف السبعة – ما ينيف على ثلاثين سنة حتى فتح الله علي بما يمكن ان يكون صوابًا. النشر في القراءات العشر: ٢٥/١.

* حقيقة اختلاف هذه الحرف هل هو اختلاف تضاد أم تنوع ؟

* هل مصاحفنا اليوم بها هذه الأحرف أو شيء منها؟ أم لا يوجد منها أي شيء؟

أخيرًا، أسأل الله – عزّ وجلّ – أن يسدّدني في بحثي هذا، ويثيبني عليه، وأن ينفع به، ويغفر لي به من ذنبي، إنّه هو الغفور الرحيم.

* * * * *

❖ أولًا: تحقيق وتخريج حديث الأحرف السّبعة:

روى الإمام البخاري بسنده عن الإمام عمر بن الخطاب قال: " سمعتُ هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعتُ لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروفٍ كثيرة، لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدتُ أُساوِره في الصلاة، فتصبّرتُ حتى سلّم، فلبَبْتُه بردائه فقلتُ: مَن أقرأكَ هذه السّورة التي سمعتُك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول ﷺ. فقلتُ: كذبتَ، فإنّ رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على خير ما قرأْتَ. فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلْتُ: إنّي سمعتُ هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تُقْرِئنيها ! فقال رسول الله ﷺ : أرسِلْه، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعتُهُ يقرأها، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزِلَت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأتُ القراءة التي أقرأني رسول الله ﷺ، فقال: كذلك أُنْزِلَت، إنّ هذا القرآن أُنزِل على سبعة أحْرُف، فاقْرَأوا ما تيسّر منه " [1].

وروى الإمام مسلم بسنده عن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب أيضًا أنه قال: " فقال رسول الله ﷺ : " هكذا أُنزِلت، إنّ هذا القرآن أُنزِل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسّر منه "[2].

وهذا الحديث مخرّج أيضًا فيهما عن غير سيّدنا عمر، وكذلك بألفاظ أخَر، لكنها تدور كلّها حول: أنّ القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف [3].

وكذلك أخرج هذا الحديث الكثيرُ من علماء السّنن والآثار، مثل الإمام مالك (ت: ١٧٩هـ)، فقد أخرج مثل ما أخرج صاحبا الصحيح عن سيدنا عمر، مما حصل بينه وبين صاحبه هشام بن حكيم بن حِزام – رضي الله عنهم، ممّا مرّ آنِفًا [4].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه هكذا، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث ٤٧٠٦، ١٩٠٩/٤.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بمثله، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة احرف، ح ٨١٨، ٥٦٠/١.
[3] منها مثلًا ما جاء عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس مرفوعًا، بلفظ: أقرأني جبريل على حرف فلم أزل استزيده حتى أقرأني على سبعة أحرف. (البخاري: ح ٤٧٠٥، ٤/ ١٩٠٩).
[4] موطأ مالك، حديث ٦٨٩، ٢/ ٢٨١.

وكذا الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) أخرج في مسنده حديث الأحرف السّبعة بمثل ألفاظ الصّحيحين، وأخرج عن ابن عباس ﷺ مرفوعًا: " قال: أقرأني جبريل عليه السلام على حَرْفٍ، فراجعتُه، فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف " . وكذلك عنه بلفظ: " فلم أزل استزيده ويزيدني... الآتي عن سيدنا أُبَيﷺ عند التّرمذي. وعن سيدنا ابن مسعود ﷺ بلفظ: " إن القرآن نزل على نبيكمُ - صلى الله عليه وسلم - من سبعة أبواب، على سبعة أحرفٍ، أو قال: حروف، وإن الكتاب قبلَه كان ينزل من باب واحد، على حرف واحد ". وكذا عن سيدنا أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بلفظ: " نزل القرآن على سبعة أحرف، المِرَاء في القرآن كفر، ثلاث مراتٍ، فما عرفتم منه فاعملوا، وما جهلتم منه فردّوه إلى عالمه " [١].

وكذلك أخرج الإمام أبو داوود (ت: ٢٧٥هـ) هذا الحديث بألفاظ الصحيحين، ممّا جرى بين عمر وهشام – رضي الله عنهما. وكذلك كلفظ الترمذي الآتي من رواية سيدنا أُبَيّ ابن كعب، وفيه: " حتى بلغ سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ، إن قلتَ سميعًا عليمًا عزيزًا حكيمًا، ما لم تَختِم آيةَ عذابٍ برحمة، أو آيةَ رحمةٍ بعذاب " [٢].

وكذلك الإمام التّرمذي (ت: ٢٧٩هـ) حكى هذه الواقعة بين سيدنا عمر وصاحبه، بمثل ألفاظ صاحبي الصحيح أيضًا. ورواه بألفاظٍ أخرى عن أَبَيّ بن كعب – رضي الله عنه – مرفوعًا. وأثبته مرفوعًا كذلك عن الأصحاب: ابن عباس وعبد الله بن عمرو وسَمُرة وأبي بَكْرة وأم الدّرداء وغيرهم – رضي الله عنهم، وقال الترمذي: حسن صحيح [٣].

ومما سبق: يظهر أنّ حديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، حديثٌ مشهورٌ معروفٌ ثابتٌ ربما يصل إلى حدّ التّواتر.

* * * * *

❖ **ثانيًا: تعريف الأحرف السّبعة (لُغةً):**

قال الإمام الجوهري (ت: ٣٩٣هـ):
" حرف كلّ شيء طرفه وشَفِيره وحدّه، ومنه: حرف الجَبَل وهو أعلاه المحَدَّد. والحرف واحد حروف التّهَجّي. وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)، قالوا وجه واحد، وهو أن يعبده على السّراء دون الضّرّاء " [٤].

[١] مسند أحمد ٢٣٣/١، ٨٦/٣، ٢١٤، ٢٦٥، ١٩١/٤، ٨/ ١٠٧.
[٢] سنن أبي داوود، ح ١٤٧٥، ١٤٧٧، ٢/ ٦٠٠، وما بعدها.
[٣] سنن التّرمذي، ح ٢٩٤٣، ٥/ ١٩٣وما بعدها.
[٤] الصّحاح للجوهري، مادة (ح ر ف)، ١٣٤٢/٤.

وقال الإمام ابن منظور: (ت: ٧١١هـ): " الحرف في الأصل الطّرَف والجانب وبه سُمّي الحرف من حروف الهجاء، وحرف السّفينة والجَبَل جانبها والجمع حروف وأحرف ... وحرف الشيء ناحيته، وفلان على حرف من أمره، أي: ناحية منه، كأنّه ينتظر ويتوقع فغن رأى من ناحية ما يحبّ وإلا مال إلى غيرها " [١].

وقال الإمام الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ): " الحرف من كلّ شيء طرفه ... وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ علَى حَرْفٍ) ، أي: وجه واحد وهو أن يعبده على السّراء لا الضّرّاء، أو على شكّ أو على غير طمانينة من أمره أي: لا يدخل في الدّين متمكّنًا " [٢].

وبناء على ما تقدّم من أقوال هؤلاء العلماء، فإننا نرى معنى (الحرف) لغةً، يدور حول مفهوم الطّرف والنّاحية والوجْه. ودليلهم في ذلك دلالة قول الله – تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ علَى حَرْفٍ) [الحجّ: ١١] أي: على وجْهٍ، وبذا تكون الأحرف الواردة في حديث: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)، في اللّغة: الوجوه.

وهذا من حيث المعنى اللّغوي لكلمة (الأحْرف)، ولكنّني من خلال الصفحات القادمة سوف أحاول – بإذن الله تعالى – أن أستجلي معناها في الشّرع، وذلك من خلال الرجوع إلى أقوال محقّقي أهل العلم من لدن الصحابة الكرام، فمن تبعهم من العلماء؛ بغية الوقوف على المعنى الأقرب للمراد بالأحرف القرآنيّة التي أنزل بها القرآن العزيز.

* * * * *

❖ ثالثًا: تعريف الأحرف السّبعة في الاصطلاح:

اختلفت أقوال أهل العلم في تأويل قول رسول الله ﷺ في نزول القرآن على سبعة أحرف على نحوٍ من أربعين قولًا [٣]. وعند التأمل في تأويلاتهم لهذه الحروف، ربما أمكن أن تُرجع إلى تفسير يشمل أكثر هذه التأويلات.

قال برهان الدّين الزّركشيّ (ت: ٧٩٤هـ): " حاصل اختلاف القرّاء يرجع إلى سبعة أوجه " [٤]. وسيأتي بحث ذلك – بإذن الله تعالى.

---

[١] لسان العرب لابن منظور، مادة (ح ر ف)، ٢/ ٨٣٨.
[٢] القاموس المحيط للفيروزابادي، باب الفاء فصل الحاء، ص ٧٩٩.
[٣] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/ ٣٠٩. ونقل القرطبي عن أبي حاتم البستي أنها بلغت خمسة وثلاثين قولًا. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ٤٢.
[٤] البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٣٣٤.

قال أبو عمرو الدّاني المقرئ (ت: ٤٤٤هـ): " أما المقصود بهذه السّبعة فقد اختلف العلماء في ذلك مع إجماعهم على أنّه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يُقرأ على سبعة أوجه " [١]. فلا يصح على هذا أن تكون الأحرف هي القراءات، فهذا قد حكى إجماعهم على عدم صوابه لمن يقول إنهما مترادفان، بل الأحرف غير القراءات على الصحيح عندهم.

قال الإمام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): " لا نزاع بين العلماء المعتبَرين أن الأحرف السّبعة ليست هي قراءات القرّاء السبعة المشهورة. ولا نزاع بين المسلمين على أن الحروف السبعة لا تتضمّن تناقض المعنى وتضادّه " [٢].

وقال الإمام ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ): " تتبعتُ القراءات صحيحها وشاذّها وضعيفها ومُنكَرها فإذا هو يرجع إلى اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها " [٣].

هذا، ولم أقف على كتاب – فيما بين يديّ من المراجع – قد استجمع أقوال العلماء التي أشير إلى أنها بلغت نحو الأربعين قولًا، مثل كتابي البرهان للزركشي والإتقان في علوم القرآن للسّيوطي (ت: ٩١١هـ)، جازاهما الله خيرًا. وقد استقصيا أو قاربا ما ورد عن العلماء في تحرير معنى هذه (الأحرف)، وبذلا جهدًا كبيرًا في جمع شتات اختلافهم في حقيقتها .

وفيما يلي رجوع إلى كثير مما تحرّياه في جمعهما لهذه الأقوال؛ للاطلاع على مجمل نظرهم وما انتهى إليه قولهم فيها. على أنّ الإمام السيوطي زاد في بحثه على الإمام الزركشيّ واستقصى، وقد ذكر أنّها وصلت في أقوالهم إلى ما يقارب أربعين قولًا [٤].

وسوف أقتَصِر أنا منها فيما يلي - بإذن الله - على ما يُعَدّ قولًا متفرّدًا، حتى لا يحدث تكرارٌ يُمِلّ ويُشتّت النّظر، عن ما يقرّب من التصَوّر المعقولِ الصحيح لحقيقتها ومعناها .

ونرى الإمام السّيوطي، بالرجوع إلى بحثه، بعد أن ذكر أنّها وصلت إلى أربعين قولًا من عبارة العلماء في حقيقتها، وقفتُ أنا من نقله عنهم فيها على ما وصل إلى اثنين وعشرين قولًا منها، كما يلي:

- أنّها من المُشكِل الذي لا يُدرَى معناه، وحكاه عن ابن سعدان النّحوي.
- ليس المراد بها العدد المعيّن من العدد (سبعة)، بل المراد الكثرة في الآحاد، واختاره القاضي عياض. ويردّه ما في الصحيحين، وفيه: " فلم أزل أستزيده حتى بلغ سبعة أحرف ".

[١] نقله عنه ابن الجزري في نشره: ١/ ٢٤.
[٢] مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٣/٢١٠.
[٣] النّشر في القراءات العشر لابن الجزري: ١/٢٥.
[٤] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/ ٢٠٦ و٢٠٧.

- أنّها القراءات السّبع. وردّه الإمام السيوطي بأنّ الألفاظ التي تُقرأ على سبعةِ أوْجُه قليلة.

- المراد بها أنّها كلّ كلمة تُقرَأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة إلى سبعة.

- إنّها أوجه للتّغاير، ونقله عن ابن قتيبة. وتفسيره: في الحركة كقوله تعالى: لا يُضَارّ، بالفتح للراء والضمّ. وفي صيغة الفعل: مثل: باعَد، وبَعَّد. وفي النّقط: مثل: ننشُرُها، وننشُزُها. وفي الحرف: مثل: طلْح، وطلْع. والإبدال: مثل: العِهْن، والصُّوف. والتقديم والتأخير: مثل: (سَكْرة الموت بالحقّ)، و(سَكرة الحقّ بالموت). الزّيادة والنّقصان: مثل: و(الذّكَر والأنثى)، و(ما خلَقَ الذَّكَر والأنثى).

- أن المقصود بهذه الأحرف أنها أوجه في الاختلاف في العدد: النوع، التّصريف في الفعل، الإعراب، النّقص والزيادة، التّقديم والتأخير، الإبدال، اللّغات: كالفتح والإمالة والتّرقيق والتّفخيم. وقد نقل هذا القول عن أبي الفضل الرّازي.

- أنها سبعة أوجُهٍ: الحركات مع ثبات المعنى: يحسَب ويحسِب. والمعنى: فتلقّى آدم من ربّه كلمات. وحروف تغير المعنى: تبلو وتتلو، وصراط وسراط. وبتغيير الحروف والمعنى: فامضوا وفاسعَوا. والتقديم والتأخير: فيُقْتَلون ويَقْتُلُون. والزيادة والنقصان: أوصى ووصّى. ولم يعتبر اختلاف الأداء من إدغام وإظهار، وحكاه عن ابن الجزري.

- سبعة أوجُهٍ من المعاني المتّفقة بألفاظ مختلفة، مثل: أقبِل وتعال وهلُمّ وعجِّل وأسْرِع. وعلي أكثر العلماء ويؤيده حديث أبي بكرة أن جبريل قال: نحو قولك: تعال وأقبل وهلم واذهب وأسرِع وعجِّل. لفظ أحمد وإسناده جيد. وقوله: إنّ القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابًا أو عذابًا مغفرة. وإسناده جيد.

- سبع لُغات. واختاره أبو عبيد وثعلب والأزهري وابن عطيّة والبيهقيّ. قيل: أفصح اللّغات يأتي جبريل بحرف كلّ عرضه. واختار أبو عبيد أنّ اللّغات السّبع متفرقة فيه. وردّ السّيوطي هذا القول بتلاحي عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم – رضي الله عنهما – وهما قرشيّان. واستدل بذلك على أنّ الأحرف غير اللّغات.

- سبعة أصناف: أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال. واستدلّوا له بحديث ابن مسعود مرفوعًا: نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجِر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال. وقد رُدّ ذلك بأن الشيء الواحد لا يكون حلالًا وحرامًا في آية واحدة. وممن ضعّف ذلك ابن عطيّة والماوردي وغيرهما.

- سبعة أبواب من أبواب الكلام: المطلق والمقيّد، والعم والخاصّ، والنّصّ والمؤوّل، والنّاسخ والمنسوخ، والمُجمَل والمفسَّر، والاستثناء وأقسامه. وحكاه عن ابن أبي شامة.

- المراد بها: الحذف والصّلة والتّقديم والتأخير والاستعارة والتّكرار والكِنَاية والحقيقة والمجاز والمجمَل والمفسَّر والظّاهر والغريب. رأى ذلك بعض أهل اللّغة.

- أنّها: التّذكير والتأنيث والشّرط والجزاء والتّصريف والإعراب والأقسام وجوابها والجمع والإفراد والتّصغير والتّعظيم واختلاف الأدوات. وحكاه عن بعض النّحاة.

- قيل هي سبعة من الأخلاق والأحوال.

- قيل هي سبعة من العلوم.

- قيل هي سبعة قراءات لسبعة صحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وابن عبّاس وأُبَي بن كعب – رضي الله عنهم.

- هي تصريف ومصادِر وعروض وغريب وسَجْع ولُغات مختلفة، كلّها في شيء واحد.

- أنها كلمة واحدة تعرب بسبعة أوجه حتى يكون المعنى واحدًا وإن اختلف اللّفظ فيها.

- أمهات الهجاء: الألِف والباء والجيم والدّال والرّاء والسّين والعَين.

- أنّها في أسماء الرّبّ تبارك وتعالى: الغفور الرحمن الرحيم السّميع البصير العليم الحكيم.

- أنّها: سبع آيات.

- أن الأحرف: سبع جهات من صفات الذّات الإلهية العليا [1].

وأما الإمام الزركشي (ت: ٧٩٤) فقد ذكر بعض تفسيراتهم للأحرف السبعة، فقال: حاصل اختلاف القرّاء – يقصد العلماء – يرجع إلى سبعة أوجه:

- الاختلاف في إعراب الكلمة أو حركات بنائها، بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها نحو: البُخْل والبَخَل.

- الاختلاف في الإعراب بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الخطّ، نحو: باعِد وباعَد، وادّكَر بعد أُمَّة وأمَه. وهو كثير يُقرأ به، لما صحّت روايته ووافق العربية.

- الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغيّر معناها ولا يغيّر صورة الخطّ بها، نحو: ننشُزُها وننشُرُها، ويقصّ الحقّ ويقضي الحق. وهو كثير يُقرأ به إذا صحّ سنَده ووجهه؛ لموافقته لصورة الخط في رأي العين.

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/ ٢٠٦ و٢٠٧.

- الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في لكتابة، ولا يغير معناها، كالعِهْن والصّوف. وهذا يُقبل إن صحّت روايته، ولا يُقرأ به اليوم؛ لمخالفته لخط المصحف، ولأنه إن ثبت فمن الآحاد.

- الاختلاف في الصورة والمعنى، نحو: الم تنزيل الكتب، في موضع الم ذلك الكتب، وطلح في موضع طلْع، فهذا لا يُقرأ به أيضًا.

- التقديم والتأخير، نحو: وجاءت سَكْرة الموت بالحق، رُوي عن الصّدّيق أنّه قرأ عند الموت: وجاءت سَكْرةُ الحقّ بالموت. وبه قرأ ابن مسعود. وهذا يُقبل؛ لصِحَّة معناه إذا صحَّت روايته. ولا يُقرأ به؛ لمخالفته المصحف؛ ولأنه واحد.

- الزّيادة والنّقص، نحو: وما عملَتْه وعملَتْ، ونعجة واحدة ونعجة واحدة أنثى. وهذا يُقبل إذا لم يحدِث حكْمًا لم يقلْه أحد. ويُقْرأ منه ما اتّفقت عليه المصاحف في إثباته وحذفه، نحو: (تجري من تحتها الأنهار) و(تجري تحتها الأنهار). و(فإنّ الله هو الغني) و(فإن الله الغني)، فيُقْرأ بها [1].

قال: والقائلون بأنّ الأحرف سبعة، اختلفوا على أقوال:

- إنّها من المُشْكل الذي لا يُدْرى معناه.

- إنّ المراد سبع قراءات. حُكي عن الخليل وهو أضعفها. وقد بيّن الطّبري في كتاب (البيان) وغيره، أن الاختلاف إنما هو كلّه حرف واحد من الأحرف السّبعة.

- سبعة أنواع. قال ابن عبد البرّ: وقد ردّه قوم من أهل النّظر، منهم أحمد بن أبي عمران؛ لأنه محال أن يكون الحرف حرامًا لا ما سواه، أو حلالًا قط، لا يقرأ القرآن على أنه حلال كلّه أو حرام كلّه. وضعف ذلك ابن عطيّة الماوردي.

- سبع لُغات من لغات العرب: فبعضٌ بلغة قريش، وبعضٌ بلغة هُذَيْل، وبعضه بلغة تميم، وأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر. وذهب إلى هذا أبو عُبَيد وثَعْلب والقاضي الباقلاني، واختاره الأزهري والبيهقي ورجحه، وأنكره ابن قتيبة.

- إنّها سبعة أوجهٍ من المعاني المتّفقة بالألفاظ المختلفة، نحو: تعال وهلُمّ وأقبِل وعجِّل وأسرِع. قال ابن عبد البرّ: وعلى هذا أكثر أهل العلم، كقوله: مشَوْا فيه، قرأ أُبَيّ: سَعَوْا فيه. قال: فهذا معنى السّبعة الأحرف المذكورة في الأحاديث عند جمهور العلماء من أهل الفقه كسفيان ابن عُيَيْنَة وابن وهْب والطّبَري والطّحاوي وغيرهم.

[1] البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٣٤/١- ٣٣٦ باختصار وبعض تصرّف.

- إنّها وجوه في القراءات، كقوله: أُفٍّ لكم، بالنصب والجر والرفع والجزم والتنوين بالنصب والجر والرفع.

- إنّها لُغات تختلف معانيها تارة، وألفاظها تارة أخرى، وليست متضادة ولا متنافية.

- إنّها لهجات دعت إليها الضرورة؛ لأن كل ذي لغة يشقّ عليه أن يتحوّل عن لغته، ثم لما كثُر الناس ارتفعت تلك الضرورة وصار حرفًا واحدًا. وهو قول الطّحاوي.

- إنّها عِلْم القرآن: إثبات وإيجاد وتوحيد وصفات ذات وأفعال والعفو والعذاب والحَشْر والحساب والنّبوءات والإمامات.

- إنّها سبعة أشياء: المطلق والمقيّد والعام والخاص والنصّ والمؤوّل والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسَّر والاستثناء وأقسامه. وهذا رأي بعض الفقهاء.

- أهل اللّغة يرونها الحذف والصِّلَة والتقديم والتأخير والقَلْب والاستعارة والتّكرار والكناية والحقيقة والمَجاز والمُجْمَل والمفسَّر والظّاهر والغريب.

- قول النّحاة: التّذكير والتّأنيث والشّرط والجزاء والتّصريف والإعراب والأقسام وجوابها والجَمْع والتّفريق والتّصغير والتّعظيم.

- قول القُرّاء: الإظهار والادغام والتّفخيم والتّرقيق والإمالة والإشباع والمَدّ والقَصْر والتّخيف والتّلْيين والتّشديد.

- الصّوفيّة: الزّهْد والقناعة والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والجزم مع الحياء والكرم والفُتوّة مع الفقر والرّجاء والتّضَرّع مع الرّضا والشّكر والصّبر مع المحاسبة والمحبّة والشّوق مع المشاهدة.

ثم ختم الإمام الزركشي – رحمه الله – بحثه بما حكاه عن الإمام ابن حبّان: " قيل: أقرب الأقوال سبع لُغات؛ للتّسهيل. وهذه السّبعة التي نتداولها اليوم غير تلك، بل هي حروف من تلك الأحرف السّبعة، كانت مشهورة وهي غير خارجة عنها " [1].

* * *

[1] البرهان في علوم القرآن: ٢٢٧/١.

* تلك كانت أشهر الأقوال التي نقلها هذان الإمامان الأجلّان. وأقول:
أقرب هذه الأقوال من دلالة النّصوص في معناها في اصطلاحهم، أنّها:

- إمّا لَهَجاتُ العرب التي أقرأ بها رسول الله ﷺ أصحابه.

- وإما ألفاظٌ مختلفة، ومعناها واحد، أي: لُغات ووجوه في ألفاظ.

وفيما يلي قول مَن وقفتُ على كلامه من أهل العلم، ممن يدور كلامه حول هذين المعنيين السّابقين – وبالله التوفيق.

من ذلك قول الإمام أبي عُبَيد (ت: ٢٢٤هـ): " وقد تواترت أحاديث الأحرف السّبعة إلا حديثًا واحدًا، يروى عن سَمرة مرفوعًا: نزل القرآن على ثلاثة أحرف. ولا نرى المحفوظ إلا سبعة؛ لأنها مشهورة. وليس معنى السبعة ان يكون الحرف الواحد يُقرَأ على سبعة أوْجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لُغات متفرّقة في جميع القرآن، من لغات العرب. فيكون الحرف منها بلغة قبيلته، والثاني بلغة أخرى، والثالث سواهما. فيكون أحاديث ذكر القبائل والاحتجاج بكلام العرب مبيّنًا لك معنى السبعة الأحرف أنّها إنما هي لُغات. ونقل عن ابن مسعود: كقول أحدكم: هلُمّ وتعال. ونُقل عن ابن سيرين كقوله: هلُمّ وتعال واقبِل. وقرأ ابن مسعود: (إن كانت إلّا صيحةً واحدةً) [يس: ٥٣]، قرأها: (إن كانت إلّا زقْيةً واحدةً). وكل هذا يوضح لك معنى السبعة أحرف " [١].

وقال الإمام ابن جرير الطّبري (ت: ٣١٠هـ): صحّ وثبت أنّ الذي نزل به القرآن من ألْسُن العرب البعض منها دون الجميع، إذا كان معلومًا انّ ألسنتها ولُغاتها أكثر من سبعة، بما يعجز عن إحصائه. فإن قال قائلٌ وما برهانك؟ قيل له: ما تقدّم ذكرنا له من الرّوايات الثّابتة عن عمر وعبد الله وأُبَيّ وسائر مَن قدّمنا الرّواية عنهم، وأبان صحّة ما قلنا الخبر عن رسول الله ﷺ، ونصّ الخبر الذي ذكرنا عن أبي بكْرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال جبريل اقرأ القرآن على حرف. قال ميكائيل: استزده، فقال: على حرفين، حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف. فقال: كلّها شافٍ كافٍ ما لم يختم آية عذابٍ بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب، كقولك: هلُمّ وتعال. فقد أوضح نصّ هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك: هلُمّ وتعال باتفاق المعاني، لا باختلاف معانٍ موجبة لاختلاف أحكام. وبمثل الذي قلنا صحّت الأخبار عن جماعة من السّلف والخلَف " [٢].

[١] فضائل القرآن لأبي عبيد: ٣٣٩ – ٣٤٧.
[٢] جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطّبري: ١/٤٦- ٥٠.

وقال الإمام الطّحاوي (ت: ٣٢١هـ): " تأملنا نحن هذا الباب؛ لنقِف على حقيقة الأمر فيه – إن شاء الله – فوجدنا أن الله – تعالى – قد قال: (ومَا أَرْسَلْنا مِن رَسُولٍ إلّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) [إبراهيم: ٤]. فأعلمَنا أنّ الرّسل إنّما تُبْعث بأَلْسُن قومها، لا بألسُن سواها. وعقَلْنا بذلك أنّ اللّسان الذي بُعث به النّبي هو لسان قومه، وهم قريش لا ما سواها من الألسُن العربية وغيرها. وكان أهل لسانه أُمّيّين لا يكتبون إلا قليلًا، وكان يشقّ عليهم حفظ ما يقرأه عليهم بحروفه التي يقرأها عليهم بها، ولا يتهيّأ لهم كتاب ذلك وحفظهم إياه؛ لما عليهم في ذلك من المشقّة، فكان من ليس من أهل لسانه من بعد أخذ ذلك عنه بحروفه أو كد. وكان عذرهم في ذلك أبسط فوسّع عليهم في ذلك أن يتلوه بمعانيه، وإن خالفت ألفاظه. ثم شرع يدلّل على صحة ما ذهب إليه وقال بعد: "وعقلْنا بذلك أن السبعة الحرف التي أُعْلِمها النبي أن القرآن نزل بها هي الأحرف التي لا تختلف في أمر ولا نهي، ولا حلال أو حرام، نحو: أقبِل وتعال وادْن " [١].

وقال الإمام أبو عمرو الدّاني (ت: ٤٤٤هـ): " أما معنى الحديث فإنّي تدبّرتُ وأنعمتُ النّظر فيه بعد وقوفي على أقاويل المتقدّمين من السّلَف والمتأخّرين من الخَلَف، فوجدتُه بخمسة أسئلة. ثم قال بعد إيراده لهذه الأسئلة وهو يجيب عنه:
" فأمّا معنى الأحرف فإنّه يتوجّه إلى وجهين:
أحدهما: أن يكون يعني الأوجُه من اللُّغات، كقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعبُدُ اللهَ علَى حَرْفٍ) [الحج:١١]، أي: وجه النّعمة تصيبه. الثّاني: أن يكون النبي ﷺ سمّى القراءات أحرُفًا، على طريق السّعة " [٢].

وقال الإمام ابن بطّال (ت: ٤٤٩هـ): " وقد أكثر الناس في تأويل هذا الحديث ولم أجد فيه قولًا يسلم من المعارضة. وأحسن ما رأيت فيه ما نقله أبو عمرو المُقْرِئ في بعض كتبه ولم يسَمّ قائله. قال: فأما معنى الحرف فإنه يتوجّه إلى وجهين، أحدهما: أن يكون أراد سبعة أوجه من اللّغات. الثاني: أن يكون النبي سمّى القراءات أحرُفًا على طريق السّنّة كنحو ما جرَت عليه عادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه " [٣].

وقال الإمام ابن عبد البَرّ (ت: ٤٦٣): " وقالوا إنما معنى السبعة الأحرف: سبعة أوجه من المعاني المتّفقة المتقاربة، بألفاظ مختلفة، نحو: أقْبِل وتعال وهَلُمّ. وعلى هذا الكثير من أهل العلم. ثم دلّل معضِّدًا لهذا المتَّجه إلى أن قال: " وهذ كلّه يعضِّد قول مَن قال: غنّ معنى السّبعة الأحرف المذكورة في الحديث:

---

[١] شرح مشكل الآثار للطحاوي: ٨/ ١١٦ – ١٢٥.
[٢] جامع البيان في القراءات العشر للدّاني: ٢٣، ٢٤.
[٣] شرح صحيح البخاري لابن بطّال: ١٠/ ٢٢٦ – ٢٣٠.

سبعة أوْجه من الكلام المتّفِق معناه، المختلِف لفظه، نحو: هلم وتعال وعجّل وأسرع وأنظِر واخّر، وسنورد لك من الاثار ما يبيّن لك انّ ما اخترناه هو الصّواب " .[1]

وقال الإمام أبو القاسم الهذلي (ت: ٤٦٥هـ): " والصحيح الذي نذهب إليه: أنّ هذه السبعة الأحرف أنزلت على رسول الله ﷺ إلى العلماء فتبع كل واحد منهم ما أقْرِئ به، حتى إنّ بعضهم قال: هذا الاختلاف في حرف واحد، والسّتة لا يعلمها إلا رسول الله ﷺ. والصحيح أن هذه السبعة إنما هي هذه القراءة التي جاءت بها الآثار عن رسول الله ﷺ، ولا يختصّ بهذه الأئمة السبعة، بل هي لُغات متفرّقة في العرب. قال والمعوّل في تأويل الخبر على ما ذكرت مختصرًا، وبالله التوفيق " .[2]

وقال الإمام البغوي (ت: ٥١٦هـ): " وأظهر الأقوال وأصحّها وأشْبهها بظاهر الحديث: أنّ المراد من هذه الأحرف اللّغات، وهو أن يقرا كلّ قوم من العرب بلغاتهم، وما جرت عليه عاداتهم من الإدغام والإظهار والإمالة والتّفخيم والإشمام والإتمام والهمز والتليين وغير ذلك من وجوه اللّغات إلى سبعة أوجه منها الكلمة الواحدة. ثم نقل عن ابن مسعود قوله: أنمت هو كقول أحدكم هلُمّ وتعال وأقبِل. ثم نقل عن أبي عُبيد اختياره، ثم قال: وفيه دليل على انّ المراد من أن الحوف: اللّغات " .[3]

وقال الإمام ابن عطيّة الأندلسي(ت: ٥٤٢هـ): " فمعنى قول النّبي ﷺ " أُنزِل القرآن على سبعة أحرف " أي: في عبارات سبع، فيعبّر عن المعنى فيه بعبارة قريش، ومرّة بعبارة هُذَيْل، ومرة بغير ذلك، بحسب الأفصح والأوجز في اللُّغة. فأباح الله لنبيّه هذه الأحرف السّبعة، وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الرّصف. ولم تقع الإباحة في قول رسول الله ﷺ " فاقرأوا ما تيسّر منه " بأن يكون كل واحد من الصّحابة إذا أراد أن يبدِل اللّفظة من بعض هذه اللّغات جعلها من تلقاء نفسه. ولو كان، لذهب إعجاز القرآن. وعلى هذا تجيء قراءة عمر وهشام، وإلّا فكيف يقول النبي ﷺ في كلّ قراءة منها وقد اختلفتا، هكذا أقرأني جبريل ؟! وعلى هذا يُحمَل قول انس بن مالك حيث قرأ: (إنّ ناشِئَةَ اللَّيْل هي أشدُّ وَطْئًا وأقْوَم قِيلًا) [المزمّل: ٦]، قراها: (وأَصْوَبُ قِيلًا)، وقال: أصوب وأقْوم وأهْيَأ: واحد، فإنما معنى هذا أنّها مروِيّة عن النبي ﷺ " .[4]

---

[1] التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البرّ: ٢٨١/٨- ٢٨٤.
[2] الكامل في القراءات العشر للهذلي: ٨٩ – ٩٢.
[3] شح السّنّة للبغوي: ٥٠٧ – ٥٠٩.
[4] المحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيّة: ٣٣/١ و٣٤.

وقال الإمام ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ): " في حديث رسول الله ﷺ: " (نزل القرآن على سبعة أحرف كلّها كافٍ شافٍ)، أراد بالحرف اللّغة، يعني: على سبع لغات من لغات العرب، متفرّقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هُذَيْل، وبعضه بلغة هوازِن، وبعضه بلغة اليمن. وليس معناه: أن يكون الحرف الواحد به سبعة أوجه. وممّا يبين ذلك، قول ابن مسعود: قد سمعْتُ القَرَأَة فوجدتُهم متقاربين. فاقرأوا كما علمتم، إنما هو كقول أحدكم: هَلُمَّ وتعالَ وأقْبِل. وفيه أقوال غير ذلك، هذا أحسنها " [١].

وقال الإمام القُرْطبي (ت: ٦٧١هـ): " اختلف العلماء في المراد بالأحرف السّبعة على خمسة وثلاثين قولًا ، ذكرها أبو حاتم البُسْتيّ. نذكر منها في هذا الكتاب خمسة أقوال:
الأول: وهو الذي عليه أكثر أهل العلم: أنّ المراد سبعة أوْجُهٍ من المعاني المتقاربة بألفاظٍ مختلفة، نحو: أَقْبِل وتعال وهَلُمّ.
الثاني: قال قوم: هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلّها.
الثالث: أنّ هذه اللّغات السّبع إنّما تكون في مُضَر. واحتجّوا بقول عثمان: إنّما أنزِل القرآن بلُغة مُضَر.
الرابع: وجوه الاختلاف في القراءة بما تتغيّر حركته، ولا يزول معناه وصورته، وما لا تتغير صورته ويتغير معناه، وما يبقى صورته ويتغيّر معناه باختلاف الحروف، وما تتغير صورته ويبقى معناه، وما تتغير صورته ومعناه، والتقديم والتّأخير، والزّيادة والنّقصان... " [٢].

وقال الإمام ابن أبي شامة (ت: ٦٦٥هـ): " قال بعض الشّيوخ: الواضح من ذلك أن يكون الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومَن جاورهم من نصحاء العرب، ثمّ أباح للعرب المخاطَبين به المنزَّل عليهم، أن يقرأوه بلغاتهم التي جَرَت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب. ولم يكلّف بعضهم الانتقال من لغة إلى غيرها؛ لمشقّة ذلك عليهم. قالوا: وعوَّل المهاجرون والأنصار ومَن تبعهم على العرضة الأخيرة، التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل عليه السلام في العام الذي قُبِض فيه. قال [ابن أبي شامة] قلتُ: وهذا كلام مستقيم حسن، وتتمّته أن يُقال: أباح الله ﷻ أن يُقْرَأ القرآن على سبعة أحرف، ما يَحتمِل ذلك من ألفاظ القرآن، وعلى أوزانها ما يحتمِل ذلك من جهة اختلاف اللّغات وترادف الألفاظ؛ توسيعًا على العباد " [٣].

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ص٢٠٠.
[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ٤٢ – ٤٦ باختصار تصرّف يسير.
[٣] المُرْشِد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز لابن أبي شامة: ص٢٤٩ – ٢٦٧.

وقال الإمام النّووي (ت: ٦٧٦هـ): " قال القاضي عياض: قال العلماء: سبب إنزاله على سبعة أحرف: التّخفيف والتّسهيل. واختلف العلماء في المراد بسبعة أحرف: فقال الأكثرون هو حصر للعدد في سبعة. ثم قيل: هي سبعة في المعاني. ثم اختلفوا في تعيين السّبعة. وقال آخرون: هي في أداء التّلاوة وكيفية النّطق بكلماتها. وقال آخرون: هي الألفاظ والحروف، واختاره ابن شهاب. ثم اختلفوا: قيل سبع قراءات وأوجُهٍ. وقال أبو عُبيد: سبع لغات العرب الأفصح. وقيل: بل هي مجتمعة. وقال القاضي الباقِلّاني: الصحيح أن هذه الأحرف ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطها عنه الأمّة وأثبتها عثمان والجماعة في المصحف وأخبرا بصحتها، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواتِرًا.

وذكر الطّماوي: أن القراءة بالأحرف السبعة كانت في أول الأمر خاصّة للضرورة، فلما كثر الناس وارتفعت الضّرورة كانت قراءة واحدة. وقال ابن أبي صفْرة: هذه القراءات السبع إنّما شُرِعت من حرف واحد من السّبعة المذكورة في الحديث، وهي التي جمع عثمان عليها المصحف. وهذا ذكره النّحاس وغيره.

قال المازِرِيّ: وأما قول من قال: المراد سبعة معانٍ مختلفة فخطأ؛ لأنّ النبي ﷺ أجاز القراءة بكلّ حرف من الحروف، وإبدال حرف بحرف. وقد تقرّر إجماع المسلمين أنّه يحرم إبدال آية أمثال بآية احكام. وقول من قال: المراد خواتم الآي، ففاسد أيضًا؛ للإجماع على منع تغيير القرآن. قال النّووي: هذا مختصر ما نقله القاضي في المسألة "[1].

وقال الإمام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): هذه مسألة كبيرة قد تكلم فيها أصناف من الفقهاء والقرّاء أهل الحديث والتّفسير والكلام وشرح الغريب وغيرهم، حتى صنّف فيها التصنيف المفرد. ومن آخر من أفرد من ذلك ما صنّفه ابن أبي شامة صاحب شرح الشاطبية. قال: لا نزاع بين العلماء المعتبَرين أنّ الأحرف السّبعة ليست القراءات السبع المشهورة. ولا نزاع بين المسلمين في أنّ الحروف السّبعة لا تتضمّن تناقض المعنى وتضادّه، بل يكون معناها متّفِقًا أو متقارِبًا كما قال ابن مسعود: إنما هو كقول أحدكم: اقبِل وهلم وتعال. وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخَر، لكن كلا المعنيين حقّ. وهذا اختلاف تنوع تغاير لا اختلاف تضادّ وتناقض. وهذا كما جاء في الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ " أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ، إن قلت غفورًا رحيمًا أو قلتَ عزيزًا حكيمًا، فالله ﷻ كذلك، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة ". ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متّفقًا من وجه، متباينًا من وجه، فهذه القراءات التي يتغيّر فيها المعنى كلّها حقّ. وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلّها واتباع ما تضمّنته من المعنى، علمًا وعملًا.

[1] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنّووي: ٦/١٠٧ و١٠٨.

وأما ما اتّحد لفظه ومعناه، وإنّما يتنوّع صفة النطق به، فهذا أظهر وأبْيَن في أنّه ليس فيه تناقض ولا تضادّ، مما تنوع فيه اللّفظ أو المعنى، إذ هي الصّفات المتنوعة في أداء اللّفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظًا واحدًا، ولا يُعدّ ذلك فيما اختلف لفظه واتّحد معناه أو اختلف معناه من المترادف ونحوه " [1].

وقال الإمام ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ): " وأمّا معنى الأحرف، فقال أهل اللّغة: حرف كلّ شيء طرفه ووجهُه وحافّته وناحيته والقطعة منه. والحَرْف أيضًا: واحد حروف التّهجّي، كأنّه قطعة من الكلمة. قال أمّا المقصود بهذه السّبعة، فقد اختلف العلماء في ذلك مع إجماعهم على أنّه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يُقْرأ على سبعة أوْجه، إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة نحو: هيهات وهيت. وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السّبعة القرّاء المشهورين. وأكثر العلماء على أنّها لُغات. ثم اختلفوا في تعيينها... قال: ولا زلْتُ أستشْكِل هذا الحديث وأفكّر فيه وأمعِن النّظر منذ نيّف وثلاثين سنة حتى فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صوابًا – إن شاء الله. وذلك أنّي تتبّعْتُ القراءات صحيحها وشاذّها وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع إلى سبعة أوجه من الاختلاف ولا خرج عنها، وذلك: إمّا في الحركات بلا تغيير، أو بتغيير في المعنى، وإمّا في الحروف بتغيير المعنى لا الصّورة، أو عكس ذلك، أو بتغييرها. وإما في التقديم والتأخير، أو الزيادة والنّقصان. فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها.
قال: ثمّ رأيتُ الإمام الكبير أبا الفضل الرّازي حاول ما ذكرتُه. ثم وقفتُ على كلام ابن قتيبة وقد حاول ما حاولنا بنحو آخر " [2].

وقال الإمام الزركشي: " والقائلون بأنّها سبعةٌ، اختلفوا على أقوال:
سبع لُغات من لُغات العرب، فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هُذَيل وبعضه بلغة تميم وأَزْد وربيعة وهَوازن وسعد بن بكر. وذهب إلى هذا أبو عُبَيْد القاسم بن سلام وثعلب والقاضي الباقلّاني واختاره الأزهري، واحتجّ بقول عثمان: فاكتبوه بلغة قريش. واختاره كذلك البيهقي ورجّحه، واحتجّ بقول ابن مسعود: فإنما هو كقول أحدهم هلُمّ وتعال وأقْبِل. وقد أنكر ابن قتيبة هذا القول، وقال: لم ينزل إلا بلغة قريش. ومن العلماء من قال: هي سبعة أوْجُه من المعاني المتّفقة بالألفاظ المختلفة، نحو: تعال وهلم وأقبل وعجّل واسرع. قال ابن عبد البَرّ: وعلى هذا أكثر أهل العلم، كقوله تعالى: (كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَشَوْا فِيهِ)[البقرة:٢٠]، قرأ أُبَيّ بن كعب (كُلَّمَا أَضَاء لَهُم سَعَوْا فِيهِ)، فهذا معنى السبعة الأحرف المذكورة في الأحاديث عند جمهور العلماء من أهل الفقه والحديث، كسفيان بن عُيَيْنة وابن وهب والطّبري والطّحاوي وغيرهم " [3].

---

[1] مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ١٣/ ٢١٠و٢١١.
[2] النّشر في القراءات العشر لابن الجزري: ١/٢٢-٢٧.
[3] البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٢١٨ – ٢٢٠.

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): " على سبعة أحرف، أي: على سبعة أوجهٍ، يجوز أن يُقْرَأ بكل وجهٍ منها. وليس المراد أنّ كل كلمة ولا جملة منه تقرَأ على سبعة أوجه، بل المراد أنّ غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة. فإن قيل: فإننا نجد بعض الكلمات يقرأ على أكثر من سبعة أوجُهٍ؟ فالجواب: أنّ غالب ذلك إما لا يثبت الزيادة، وإما لا يكون من قبل الاختلاف في كيفية الأداء " [١].

وقال الإمام السّيوطي (ت: ٩١١هـ): " سبعة أوجُهٍ من المعاني المتّفقة بألفاظٍ مختلفة، نحو: أقبِل وتعال وعجِّل وأسرِع، وعليه أكثر العلماء. ويؤيّده حديث أبي بكرة ﷺ، أنّ جبريل عليه السلام قال: نحو قولك: تعال وأقبِل وهَلُمّ واذهب وأسرِع وعجِّل. لفظ أحمد، وإسناده جيّد. وقوله: إنّ القرآن كلّه صواب ما لم تجعل مغفرةً عذابًا أو عذابًا مغفرةً. وإسناده جيد " [٢].

وقال الشيخ منّاع القطّان: " اختلف العلماء في تفسير هذه الأحرف اختلافًا كثيرًا، وأكثر هذه الآراء متداخلة. ثم أورد منها أربعة، وعقّب قائلًا: " والراجح من هذه الآراء جميعًا الرأي الأول، بأنّ المراد سبع لغات من لُغات العرب في المعنى الواحد، نحو: أقبِل وتعال وهَلُمّ وعجِّل وأسرِع. وإليه ذهب سفيان بن عُيَيْنَة وابن جرير وابن وهْب وخلائق، ونسبه ابن عبد البَرّ لأكثر العلماء. ويدل له ما جاء في حديث أبي بكْرة: أنّ جبريل قال يا محمّد، اقرأ القرآن على حرف. فقال ميكائيل استزده، فقال على حرفين، حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال كلها كافٍ، ما لم يختم آية عذابٍ بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب [٣]. قال الشيخ منّاع: ويؤيده أحاديث كثيرة. ثم شرع في سردها.

* * * * *

[١] فتح الباري للحافظ ابن حجر: ١١/ ٢٢٢.
[٢] الإتقان في علوم القرآن للسّيوطي: ١/ ٣٠٦ و٣٠٧.
[٣] مباحث في علوم القرآن لمنّاع القطّان، ص ١٥٠ وما بعدها.

❖ والخلاصة ممّا سبق :

تبيّن أنّ أكثر العلماء يرَوْن أنّ المقصود بالأحرف السّبعة: الوجُه واللّغات التي لا تختلف في معناها، وإن اختلفت ألفاظها. وقد اعتمدوا في ذلك على أدلّة من الكتاب والسّنّة والآثار والمعقول:

فمن القرآن: مثل قوله ﷻ: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم: ٤]، وقالوا: إنّ في هذه الآية وأمثالها دليل على أنّ الأحرف كلّها لغات ولهَجات للعرب، خاطب بها الرسول العرب بما يفهمونه من لسانهم.

وكذلك احتجّوا ببعض القراءات القرآنيّة التي سبق ذكر بعضها آنفًا، ومنها قراءة(سَعَوْا فيه) بدل: (مَشَوْا فيه). و(أَصْوَب قيلًا) بدل: (أَقْوَمُ قِيلًا). و(زقْيَة واحدة) بدل (صَيْحة واحدة).

ومن السّنّة: اعتمدوا على مثل قول النبي ﷺ : " إنّ جبريل قال: نحو قولك تعال وأقْبِل وهلُمّ ". رواه أحمد وجوّد الحافظ السّيوطي إسناده. ويظهر منه أنها لغات في لفظ واحد.
ومن الاثار مثل ما صحّ عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وقد قال في تأويلها: " كقول أحدكم: هلُمّ وتعال ".

ومن النّظر والمعقول: الاعتبار بتصويب النبي ﷺ لقراءة عمر وهشام بن حكيم ﷺ، مع أنّهما مختلفتان في اللّفظ وإن اتّحدتا في المعنى، وهذا يعتبر به في أنّ الأحرف التي نزل بها القرآن: يقصد بها وجوه ولهجات ولغات.
ولو كان المقصود بها اختلاف المعاني للّفظ الواحد للزم منه إثبات الاختلاف والتناقض في كتاب الله – تعالى، وهو معصوم منزّه عن مثل ذلك، (وَلَوْ كَانَ مِن عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النّساء: ٨٢]، والله أعلم.

* * * * *

▪ وممّا يتعلّق بهذا البحث:

- معرفة نشأة الأحرف السّبعة، وما آلت إليه آخِرًا.
- الحِكْمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف.
- حقيقة اختلاف هذه الأحرف.
- هل المصاحف اليوم بها شيء من الأحرف السّبعة؟

* * * * *

- معرفة نشأة الأحرف السّبعة، وما آلت إليه :

منذ ارتاب أمير المؤمنين عمر ﷺ في قراءة هشام بن حكيم ﷺ وهو يقرأ من سورة الفرقان، وقد كان يقرأ منها بغير اللّفظ الذي سمعه من هشام، وكان الفيصل بينهما رسول الله ﷺ وقد أقرّ هشام على حرفه الذي قرأ به، وكذلك أقرّ عمر على حرفه الذي سمعه من رسول الله ﷺ[1].

فمذ هذا الوقت، حصل عندنا علم بمصطلح (الأحرف السّبعة)، حيث خير الرسول الكريم – من خلالها – أصحابه الكرام بأن يقرأوا بما استسهلوا من الحروف التي أقرأها إياهم رسول الله ﷺ، حيث قال: " أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلّها شافٍ كافٍ "[2].

ثم كانت هذه الأحرف رخصة من الله ﷻ ييسّر بها على عباده، حيث شقّ على كبيرهم وأُمّيّهم وصغيرهم أن يحفظ أو يقرأ بغير لغة قبيلته؛ ولذا سأل رسول الله ﷺ الله ﷻ التّخْفيف على أُمّتهن حين أمر أول الأمر أن يقرأ أمّته على حرف واحد، واستزاد فيها، معلِّلًا: بأن ذلك يشقّ على امّته، حتى زيدَت إلى سبعة أحرف[3].

واستمرّ الأمر على ذلك النّحو حتى جاء عصر الصّدّيق الأكبر أبي بكر ﷺ، وقد اضطر إلى جمع القرآن الكريم حين استحَرّ القتل بالقرّاء يوم اليمامة، وما هو معلوم في ذلك: من إشارة الفاروق عمر ﷺ بذلك، حتى شرح الله سبحانه صدر صاحبيه أبا بكر وزيد بن ثابت ﷺ، فكان ما رأى الإمام عمر، وجُمعَت السّور والآيات من الرّقاع والعسب واللّخاف، وحفظت تلك الصّحف عند ابنته أم المؤمنين حفصة.

كلّ ذلك والمسلمون يقرأون على الحرف التي علّمها لهم رسول الله ﷺ عندما أرسل إليهم أصحابه كلٌّ بحرْفٍ لبطنٍ من بطون العرب.

ثم إنّه لما جاء عهد الإمام عثمان بن عفّان ﷺ وفزِع إليه سيدنا حذيفة بن اليمان، وقال: أدرِك المسلمين، حيث كفّر بعضهم بعضًا؛ لاختلافهم في قراءة القرآن الكريم .
وكان الإمام حذيفة قد سمع الاختلاف بين أهل الشّام وأهل العراق، عندما كانوا في غزوة أرمِينيّة، حتى كفّر بعضهم بعضًا، واختلفوا في الكتاب[4].

---

[1] صحيح أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الفضائل وغيره، وكذا الإمام مسلم في صحيحه، باب: بيان أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف. وكذا أخرجه غيرهما، كما سبق بحثه أول هذه الورقات.
[2] ينظر في تفصيل ذلك: تفسير الطّبري جامع البيان: ٥٠/١.
[3] السابق: نفسه.
[4] مشكل الاثار للطّحاوي: ٨/ ١٢٩ – ١٣٠.

وهنا أمر عثمان ﷺ بجمع المسلمين على مصحفٍ إمامٍ، أجمع الصحابة على صحّته، كلٌّ بما سمع من سيدنا رسول الله ﷺ. ثمّ أمر بإحراق ما عداه من المصاحِف جمعًا للمسلمين وكلمتهم، ودرءًا للفرقة والفتنة. وفي ذلك يذكر العلماء كالطّبري والطّحاوي أنّ المصحف الإمام إنّما فيه حرف واحد من الأحرف. ومنهم من يرى أنّ هذه الأحرف السبعة مفرَّقَة في المصحَف في كلماتٍ منه، ومنهم: الإمام أبو عمرو الدّاني وابن الجَزَري – على ما سيأتي بحثه بإذن الرحمن.

يقول الباحث الشيخ سعيد الأفغاني – رحمه الله: " لم يكن كتَبَة الوحْي الذين كان النبي ﷺ يملي عليهم كلّما أُوحِي إليه شيء من قبيلة واحدة بل كانوا من قبائل عدذة فيهم القرشي وغيره. وكان النّاس على اختلاف قبائلهم ولَهَجاتهم، في سَعة من أمرهم في قراءة القرآن، كلٌ يقرأه بلحن قومه، حتى إذا آنس أحدهم اختلافًا في قراءة سمعها من إنسان عمّا أقرأه رسول الله ﷺ، هُرِع إليه شاكِيًا، فسمِع الرسول ﷺ من كلٍّ قراءته فأقرّه عليها، قائلًا: " هكذا أُنزِلَت "، وكان التّغيير لا يعدو تنوّع أداء أحيانًا، من حيث: الإمالة أو التّرقيق لبعض الحروف أو التّفخيم أو ضبط المضارع الرُّباعي، مثل: تنزِل وتتَنَزَّل، تخفيفًا وتشديدًا، أو تغاير لفظين والمعنى واحد... إلخ

وأطلقوا على ذلك: خلاف، وما هو بخلاف: إذ لم تكن تؤدّي إلى نقص معنى أو تغيير حُكْم، وكلّها مسنَدَة إسنادًا صحيحًا إلى رسول الله ﷺ تعدّد السّامعيها منه. وعرفوا من أمر هذه الرّخصة ما لم يكونوا على عِلْم به. واندرجت هذه الوجوه الكثيرة في القراءة في تعبير (الأحرف السّبعة) الواردة في الحديث أُرِيد بها التّعدّد والكثرة، لا تحديد العدد سبعة، كثرة الوجوه المتواترة عن رسول الله ﷺ في القراءة.

وتفرّق الصّحابة في الأمصار كلٌّ يُقرِئ أهلَ مصرِه، بما سمِع على لهجته، وتعارف النّاسُ هذه الوجوه واللّهجات، ولم ينكر أحدٌ على اخيه قراءته، حتى إذا امتدّ الزّمان قليلًا وكثر الآخِذون عن الصحابة، ووقع بين أتباعهم شيءٌ من خلاف أو تنافس أو إنكار فخشي الأجلّاء من الصّحابة مغبّتَه مع الزّمن، فحملوا الخليفة الثالث عثمان بن عفّان – رضي الله عنه – على معالجة الأمر ففعل وكان من رأيه المبارك كتابة المصاحف؛ ليجمع عليها قرّاء الصّحابة وكتَبَة الوحي، وهؤلاء وأولئك كثيرون متوافرون، حتى إذا وقع خلاف كتبوه على لغة قريش، وكذلك كان " [1].

[1] حجّة القراءات للأستاذ الشيخ سعيد الأفغاني.

ويقول الباحث عبد المُهَيْمن طحّان: " لقد بلّغ الرسول ﷺ ما أَنزِل إليه من ربّه، وقرأ على الناس كتاب ربّهم على مكث. واجتهد المسلمون في حفظ كتاب الله وتعلّم أحكامه تلاوة وفقهًا. وحيث إنّ المجتمع المدني حوى أصنافًا من الناس لهم انتماءات إلى شتّى القبائل العربية، فقد شقّ على الشّيوخ والنّساء والغلمان غير القرشيين رياضة ألسنتهم؛ ليبتلوا القرآن الذي تنزّل على لسان قريش.

فقد أدركتْهم رحمة الله، وهو ارحم الرّاحمين، فعن أُبَيْ بن كَعْب ﷺ قال: " لقي رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – جبريل عليه السلام فقال يا جبريل: إني بعثتُ إلى أُمَّة أُمِيَّة، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرّجل الذي لم يقرأ كتابًا قط. قال: يا محمّد إن القرآن أُنزِل على سبعة أحرف ". وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنّ رسول الله ﷺ قال: " أقرأني جبريل على حرفٍ واحدٍ، فرجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف ". وإذا كان الناس قد اختلفوا في المراد من سبعة أحرفٍ اختلافًا كثيرًا، فإنّ ما لا يحتمل الجدل كون الحروف أنزلت رخصةً وتوسعةً وتيسيرًا.

قال أبو شامة: إنّه إنّما أُبيح ان يقرأ بغير لسان قريش توسعةً على العرب، فلا ينبغي أن يوسّع على قوم دون قوم، فلا يكلّف احد إلا قدر استطاعته، فمن كانت لُغته الإمالة او تخفيف الهمز أو الإدغام او ضمّ ميم الجمع او صلة هاء الكناية او نحو ذلك، فكيف يكلّف غيره، انتهى.

وتعلّم الناس القراءة من رسول الله ﷺ كلٌّ على ما يسهُل له من لغته، حتى إذا أنكر بعضهم على بعض رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأجاز قراءة كلٍّ، حيث لم يعْدُ كلّ واحد ما تعلم من الرسول ﷺ. عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: أقْرأني رسول الله ﷺ سورة حم، ورحْتُ إلى المسجد عشيّةً فجلستُ إلى رهطٍ، فقلتُ لرجل من الرّهط اقْرأ علي، فإذا هو يقرأ حروفًا لا أقرأها فقلتُ له: مَن أقرأكها؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ، فانطلقْنا إلى رسول الله ﷺ وإذا عنده رجل، فقلتُ له: اختلفنا في قراءتنا فإذا وجه رسول الله ﷺ قد تغير ووجَد في نفسه حين ذكرتُ له الاختلاف فقالك إنما أهلك مَن قبلكم الاختلاف، ثم أسَرّ إلى علي بن أبي طالب، فقال عليٌّ: إنّ رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كلّ رجلٍ منكم كما عُلِّم. فانطلقنا وكلّ رجل منا يقرأ حروفًا لا يقرأها صاحبه. انتهى

قال الطّحان: ومضى الناس زمانًا، فلمّا كانت خلافة عثمان اختلف النّاس وتنازعوا حتى كفّر بعضهم بعضًان فاستشار الصّحابة وهم يومئذٍ كثيرون، فوافقوه على جمع النّاس على مصحف واحدٍ؛ ليكون مرجعًا لهم في قراءتهم، فيلزمون رَسْمه ويتركون ما سواه.

فنسَخوا عدّة مصاحف بإجماعٍ منهم على اللّفظ الذي استقرّ في العَرْضَة الأخيرة، التي قرأ بها رسول الله ﷺ على جبريل عليه السلام عام قُبِض، وعلى ما صحّ مستفاضًا عنه ﷺ دون غيره؛ قطْعًا لمادّة الخِلاف.

وقد كُتبت المصاحف مجرّدة من النّقْط والشّكْل برسمٍ يحتمل القراءات التي تيقّنوا صحّتها عن رسول الله ﷺ. وحيثما لم يسْعِفهم الخط بصورة تحتمل ذلك فرّقوا القراءات في المصاحف، مثل: ووصّى بها إبراهيم بنيه [البقرة: ١٢٣]، فإنها رُسِمت في مصاحف أهل المدينة والشّام (وأوصى)، ورسمت في سائر المصاحف (ووصّى)، ووجّهوا بمصحفٍ إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وثالثٍ إلى الشّام، ورابعٍ إلى مكّة، وخامسٍ إلى البحْرَين وسادسٍ إلى اليمن، وأقِرّ السابع في المدينة، فقرأ النّاس في كلّ مصر على حسب ما أقرأهم الصحابة الذين انتقلوا إليهم مما يوافق خطّ مصحفهم، وتركوا من الحروف السبعة التي تعلّموها ما خالف رسم مصحفهم، وأخذ القراءة من الصحابة خلقٌ من التّابعين . انتهى [١]

* * * * *

- معرفة الحكْمة من إنزال القرآن على تلك الأحرف:

يظهر من الأدلّة التي تناولت الأحرف السّبع بالذّكر، وكذلك ما انتهى إليه بحث العلماء فيها : أن العلّة الجليّة التي من اجلها نزل القرآن على أحرف سبعة، إنما هي التّخفيف والتّيسير على الأمة.

ففي قول رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام ما يفيد ذلك، فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن جبريل عليه السلام لأتى النبي ﷺ فقال: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل عليه السلام: استزِده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل استزده، فقال: اقرأ على ثلاثةٍ، حتى بلغ سبعة أحرفٍ، كلّها شافٍ كافٍ [٢]. وقوله ﷺ: " ربّ خفِّف عن أمّتي، فأُمِر أن يقْرأ على سبعة أحْرُفٍ "، وقد مرّ .

وكذا حديث حذيفة رضي الله عنه وفيه قول رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: " إنّي أُرْسِلْتُ إلى أُمّةٍ أُمِيّة منهم العجوز والشّيخ الكبير والغلام والجارية والرّجل الذي لم يقرأ كتابًا قط. وقد مرّ أيضًا [٣].

وكذلك ما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " أُنزِل القرآن على سبعة أحرف: عليمًا حكيمًا، غفورًا رحيمًا " [٤].

---

[١] دراسة للباحث عبد المهيمن طحّان منشورة مع كتاب القراءات السبع لأبي طاهر الأنصاري.
[٢] أخرجه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس، ولفظ المسند مثل ما جاء هنا لكن دون ذكر ميكائيل. حديث رقم ٢٧١٧، ٣/٢١٤.
[٣] وينظر: الأحرف السبعة لأبي عمرو الدّاني، ص ٢١ و٣١ و٣٢.
[٤] أخرجه الإمام أحمد كذلك في مسنده، حديث ٨٣٧٢، ٨/٢٩٩.

وهذه الأحاديث تدلّ على أنّ الأمر بقراءة القرآن العظيم على حرفٍ واحِدٍ يشُقّ على أُمّة لا تقرأ ولا تكتب إلا قليل منهم؛ ولذا طلب النّبي الرّؤوف الرّحيم بأمته التّخفيف والاستزادة، كما أرشده ميكائيل عليه السلام، فكانت السبعة الأحرف رحمة من الله بعباده، وتوسعة على أمّة الحبيب إليه المصطفى لديه، حتى يسهل عليهم تعاطيه وقراءته.

قال الإمام الطّحاوي: " اللّسان الذي بُعِث به رسول الله ﷺ هو لسان قومه، وهو لسان قريش لا ما سواه من الألْسُن العربية وغيرها. وكان أهل لسانه أُمِيّين لا يكتبون إلا القليل، وكان يشقّ عليهم حفظ ما يقرأه عليهم بحروفه التي يقرأه بها عليهم، ولا يتهيأ لهم كتاب ذلك وتحفّظهم إيّاه؛ لما عليهم في ذلك من المشقّة. وكان مَن ليس من أهل لسانه مَن بَعُد أخذ ذلك عنه بحروفه أوْكد. وكان عذرهم في ذلك أبسط، فوسّع الله سبحانه عليهم في ذلك أن تتلوه بمعانيه، وإن خالفت ألفاظه التي تتلوه بها ألفاظَ نبيّهم التي قرأه بها عليهم، فوسّع لهم في ذلك بما ذكرنا " [1].

وقال الإمام ابن الجزري: " فأمّا سبب وروده على سبعة احرفٍ، فللتّخفيف على هذه الأُمّة، وإرادة اليُسْر بها . وكانت العرب الذين نزل هم القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة والسنتهم شتّى، ويعسُر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخَر. بل قد يكون بعضهم لا يقدِر على ذلك ولا بالتّعليم والعلاج، لاسيّما الشيخ والمرأة. فلو كُلِّفوا العدول عن لغتهم، لكان من التّكليف بما لا يُستطاع " [2].

وقال الإمام أبو عمروٍ الدّاني: " وأما وجه إنزاله على سبعة أحرفٍ، وما الذي أراده يبارك اسمه بذلك؟
فإنّه إنّما أُنْزِل علينا؛ توسعة من الله سبحانه على عباده، ورحمة لهم وتخفيفًا عنهم عند سؤال النبي إيّاه لهم ومراجعته له فيهم؛ لعلمه ﷺ بما هم عليه من اختلاف اللّهَجات، واستصعاب مفارقة كلّ فريقٍ منهم الطّبْع والعادة إلى غيره، فخفّف تعالى عليهم وسهّل لهم، بأن أقرّهم علة مألوف طبعهم وعادتهم " [3].

* * * * *

[1] مُشْكِل الآثار للطّحاوي: ٨/ ١١٧ و١١٨.
[2] النشّر لابن الجزري: ١/ ٢٢.
[3] الحرف السّبعة له، ص ٣١.

- حقيقة اختلاف تلك الأحرف:

هذه المسألة تُعتبر فرع عن أصل معنى الأحرف السّبعة والمقصود به. ولكن مما لا شكّ فيه أنّ الاختلاف هنا ليس متضادًّا؛ لأنّه يلزم من ذلك إثبات تناقضٍ في كتاب الله وحاشاه، فهو (لا يأتيه الباطِل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيمٍ حميد)[فُصِّلت: ٤٢]، و(لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا)[النّساء: ٨٢]، وقد أُمن ذلك في القرآن المجيد؛ لأنّه تنزيلٌ الله العزيز الحميد.

وعلى ذلك، يأتي الاختلاف في تفسيرات العلماء لمعنى الأحرف دون أن تتجاوز هذه التفسيرات قسم اختلاف التّنوع والتّوسّع في العبارة أحيانًا، أو الاختلاف السّائغ المقبول في مجمله. كان يفسّر أحدهم مثلًا الحروف بأنّها اختلافٌ في ألفاظ القرآن ومعانيه. وعلى تنوّع الأحرف السبعة وتكاملها تأتي بعض روايات الحديث.

قال الإمام ابن جرير الطّبري: " ووجْه قول النبي ﷺ بأنّها سبعة أبواب: أمرٌ ونهي وترغيبٌ ... إلخ، بأنّ كلّ هذه الأخبار متقاربة المعاني؛ لأنّ قول القائل فلانٌ مقيم على باب من أبواب هذا الأمر، ووجه من وجوه هذا المر، وحرف من هذا الأمر سواء " .[1]

وقال أيضًا: " معلوم أنّه لا حرف من حروف هذا القرآن ممّا اختلفت القَرَأَة في قراءته بهذا المعنى، يوجب المِراء به كفر المُماري في قول أحد من علماء الأُمّة. وقد أوجب ﷺ بالمِراء فيه الكُفْر من الوَجْه الذي تنازع فيه المتنازِعون إليه، وتظاهرت عنه بذلك الرّواية "[2].

ويظهر من قول الإمام الطّبري السّابق أنّ الأحرف عنده لا تختلف في حقيقة المعنى، وذلك لأنّ الاختلاف في المعنى يؤدّي إلى المماراة التي توجب الكفر، وهذا يمتنع ضرورة في الدّين.

وفي ذلك يقول الإمام أبو عمرو الدّني أيضًا: " وجْه الاختلاف في القرآن أنّ رسول الله ﷺ كان يعرِض القرآن على جبريل في كلّ عام عرضةً. فلما كان في العام الذي توفّي فيه عرضَهُ عليه عَرْضَتين يأخذ عليه في كلّ عرْضَةٍ بوجْه وقراءة من هذه الأوْجه والقراءات المختلفة؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: " إنّ القرآن أُنزِل عليها، وأنّها كلّها شافٍ كافٍ " .
وأباح لأمّته القراءة بما شاءت منها مع الإيمان بجميعها والإقرار إذ كانت كلّها من عند الله منزّلة، ومنه صلّى الله عليه وسلّم مأخوذة "[3].

[1] تفسير الطبري: ٧٠/١.
[2] السابق: ٦٥/١.
[3] الأحرف السّبعة له: ص ٣١ و٣٢.

وقال: " وجملة ما نعتقده في الأحرف والقراءات وتاريخ المصحف، ونذهب إليه ونختاره: أنّ القرآن نزل على سبعة أحرفٍ كلّها شافٍ كافٍ وحقّ وصواب. وإنّ الله تعالى قد خيّر القرّاء في جميعها، وصوّبهم إذا قرأوا بشيء منها. وإنّ هذه الأحرف السّبعة المختلفة معانيها تارةً، وألفاظها تارةً، مع اتّفاق المعنى، ليس فيها تضادّ، ولا تنافٍ للمعنى ولا إحالة ولا فسادٍ " [1].

وقال أبو القاسم الهُذلي: " واعلم أنّ هذه السّبعة ليست فيها تناقضٌ، إذ قال الله تعالى: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا). والناقض إنّما يثبت لو جاء الحُكم في آية بالحلال ومثله في تلك الآية بالحرام. وهذا المعنى مأمون أن يأتي مثله في كتاب الله.
وما اختلف فيه أهل هذه المصاحف من الهجاء والأبنية والزيادة والنّقصان والبدل والحركات والمعاني والأحكام، فهذا كلّه يجتمع في القراءات المرويّة " [2].

ونقل الشيخ مكّيّ (ت: ٤٣٧هـ) ما يلي: " يتوجّه الخلاف في الأحرف السّبعة إلى أنحاء ووجوه مع السلامة من التّضاد والتّناقض منها ما يكون لبيان حكمٍ مجمع عليه، ومنها ما يكون موضّحًا لحكم اختلافي. ومنها ما يكون جامعًا لحكمين مختلفين إلى غير ذلك من الوجوه والحُكْم " [3].

* * * * *

- هل المصاحف الآن بها تلك الأحرف، أو بعض منها ؟ :

وفي هذه المسألة وقفتُ على أقوال بعض أهل العلم المحقّقين في هذا الشّأن فوجدتُ أقوالهم على ثلاثة مذاهب:

الأول: أنّ المصاحف التي جمعها عثمان بن عفان ﷺ وتلقّاها الصّحابة بالقبول ، والتي هي بأيدينا اليوم ، مشتملةٌ على هذه الأحرف، جميعها. وممّن يرى بهذا الرّأي الإمام أبو عمروٍ الدّاني، وابن جنّي والقاضي الباقِلّاني وابن الجزَري .

الثّاني: أنّ مصاحفنا بها بعض هذه الأحرف وليست الأحرفُ كلّها. وممّن رأى ذلك جمهورهم، كما حكاه عنهم الإمام السّيوطي.

الثّالث: أنّه لا يوجد من هذه الأحرف اليوم، إلا الحرفَ الذي عرضَه النّبي ﷺ على سيّدنا جبريل في العَرْضة الأخيرة. ويرى ذلك الإمام ابن جرير الطّبري والطّحاوي وابن عبد البَرّ.

---

[1] السابق: ص ٦٠.
[2] الكامل في القراءات له، ص ٩٠، و٩١.
[3] التّبصرة في القراءات السّبع لمكّيّ بن أبي طالب، ص ٨٧، و٨٨.

نقل الإمام مكّيّ في التّبصرة ما يلي:
" ذهب جماعات من الفقهاء والمتكلّمين إلى أنّ المصاحف العثمانيّة مشتملة على جميعها – يقصد الأحرف السّبعة - وبنوا ذلك على أنّه لا يجوز للأمّة أن تهمل نقل شيء من الحروف السّبعة التي نزل بها القرآن. وقد أجمع الصّحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصّحُف التي كتبها أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – وإرسال كلّ مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين. ولا يُتَصَوّر بهم أن يتركوا شيئًا من القرآن. وهذا هو مذهب جماهير العلماء من السّلَف والخَلَف " [1].

وقال الإمام ابن جرير الطّبري: " إنّ القراءة على الأحرف السّبعة لم تكن واجبة على الأمّة، وإنّما كان ذلك جائزًا لهم مرخّصًا لهم فيه. وقد جعل لهم الاختيار في أيّ حرف قرأوا به، كما في الأحاديث الصّحيحة قالوا: فلمّا رأى الصحابة أنّ الأمّة تفترق وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرفٍ واحدٍ اجتمعوا على ذلك اجتماعًا سائغًا، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك الواجب، ولا فعل محظور " [2].

وفي اشتمال المصحف الإمام على الأحرف كلّها قال الإمام ابن الجَزَري: " وأما هل هي متفرّقة في القرآن ؟

فلا شكّ أنّها متفرّقَة فيه، بل وفي كلّ رواية وقراءة باعتبار ما قرّرناه في وجْه كونها على سبعة، فمن قرأ ولو بعض القرآن بقراءة معينة اشتملت على الأوْجُه المذكورة فإنّه يكون قد قرأ بالأوْجه السّبعة التي ذكرناها، دون ان يكون قرأ بالأحرف السّبعة " [3]. وذكر بعده أنّ مصاحف الإمام عثمان اشتملت عليها كلّها.

وفي ارتفاع الأحرف في نظر البعض، قال الإمام أبو جعفر الطّحاوي: " وكانت هذه السّبعة للنّاس في هذه الحروف في عجزهم عن أخذ القرآن على غيرها، ممّا لا يقدرون عليه؛ لما قد تقدّم ذكرنا له في هذا الباب . وكانوا على ذلك، حتى كثُر مَن يكتب فيهم، وحتّى عادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ فقووا بذلك على تحفّظ القرآن بألفاظه التي نزل بها فلم يسعْهم أن يقرأوه بخلافها. وبان بما ذكرنا أنّ تلك الأحرف السّبعة إنّما كانت في وقت خاص لضرورةٍ دعت إلى ذلك. ثم ارتفعت تلك الضّرورة، فارتفع حُكْم هذه السّبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن إلى حرف واحد " [4].

---

[1] التّبصرة في القراءات السّبع للإمام مكّي بن أبي طالب، ص ٨٩، و٩٠.
[2] تفسير الطّبري: ٥٦/١.
[3] النّشْر في القراءات العشْر له: ١/ ٢٩ – ٣١.
[4] مشكل الآثار له: ٨/ ١٢٥.

وبين هذين الرّأيَيْن ما حكاه الإمام السّيوطي عن الجمهور، بأن بعض الأحرف السّبعة في مصحف الإمام عثمان، وليست كلّها، قال:
" وقد ذهب جماهير العلماء من السّلَف والخَلَف وأئمّة المسلمين إلى أنّ مصاحف عثمان، مشتملةً على ما يحتمله رسْمها من هذه الأحرف جامعةً العرْضَة الأخيرة، متضمّنةً لها لم يترك حرْف منها " [1].

* * * * *

○ ختامًا:

لا أيْأس للكافرين من ديننا، من نحو عِرْفانهم: أنّه لا متعَلّق لهم ولا للّذين في قلوبهم مرضٌ من إخوانهم، بما يتشابه ويُشْكل، مثل حقيقة الأحرف السّبعة الشّريفة ونحوها. ومحاولتهم النَّيْلَ - من بحثهم وراءها - من حقيقة ويقين حفظ الله ﷻ لكتابه العزيز. أو أن يلمزوا القرآن العزيز ويعنوه بالتناقض أو الاختلاف من خلالها. وهيهات لهم ذلك كلّه، فكل مساعيهم معلنةٌ جميعها بالفشل. فإنّه سبحانه بالأحرف السّبعة وغيرها من آياته الباهرة، قد أعجزهم وألزمهم حجّته البالغة، حيث تعدّدت الأحرف؛ تيسيرًا وترغيبًا، من غير أن يكون ثمّة أيُّ اختلاف أوشكَ أو اضطراب في الكتاب. بل مِن سعي هؤلاء الكارهين يأتيهم ما يسوؤهم، ولله الحمد.

ولا كتاب للمسلمين أبدًا، إلّا هذا القرآنُ الحكيم التامّ المعصوم، الذي حملته الأمّة عن نبيّها الكريم خَلَفًا عن سَلَفٍ، بالتّواتر في شهادتهم على صواب كلّ حرف وحركة وسكَنَةٍ فيه، وأنّه محفوظٌ بحفظ الله ﷻ له: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[الحجر: ٩]، فانقلب بصرهم إليهم بذلك خاسِئًا حسيرًا، وكان سعيُهم فيه محالًا عسيرًا، ولله الحمد تعالى.

وبعد:
فقد ظهر ممّا سبق، من البحث في حقيقة الأحرف السّبعة، ومتعلَّق ذلك من مسائل:

- أنّ حديث نزول القرآن الحكيم على سبعة أحرف، في الصحيحين ودواوين السّنة المشهورة، فربما قارب أن يكون الحديث متواترًا.

- هذه السّبعة الحرف امتنان من الله ﷻ على هذه الأمّة؛ كرامةً لنبيّها.

- المعنى اللّغوى والاصطلاحي (للأحرف)، متعاضدان.

[1] الإتقان في علوم القرآن له: ١/ ٣٣٤.

- أرجح الأقوال في معناها: أنّها سبعُ لُغاتٍ ولهجاتٍ، وأوْجُهٍ في القراءة.

- نشَأَت هذه الأحرف بنزول القرآن الكريم، ثم حفظتها الأمّة وضُمِّنَت إيّاها المصاحف.

- الحِكْمة من إنزال هذه الأحرف السّبعة، هو التّيسير على المسلمين، والرّحمة بهم.

- الاختلاف بين الأحرف إنّما هو اختلاف تنوّعٍ غير حقيقي، لا اختلاف تضادٍّ وتنافر.

فليعقِل المسلمون عن ربِّهم، ولْيَهنأوا، بقوله تعالى: (لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، [الأنبياء:١٠].

والحمد لله أوّلًا وآخِرًا، وظاهرًا وباطنًا

والصّلاة والسّلام على خير الأنام

وآله وصحبه والتّابعين

وتابعيـــــهم

إلى يوم الدّين

آميـن

* * *

❖ فهرست المصادر والمراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن للسّيوطي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السّعودية. ط مجمع الملك فهد.
٢- الأحرف السّبعة لأبي عمرو الدّاني، تحقيق عبد المهيمن طحّان، دار المنارة.
٣- البرهان في علوم القرآن للزّركشي، تحقيق ا. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التّراث.
٤- التّبصرة في القراءات السّبع لمكّيّ بن أبي طالب، الدّار السّلفيّة. الهند.
٥- التّمهيد لما في الموطّأ من المعاني والمسانيد لابن عبد البَرّ، تحقيق محمد الفلاح، المطبعة الملكيّة، المغرب.
٦- جامع البيان عن تاويل آي القرآن أو تفسير الطّبري لابن جرير، تحقيق ا. محمود شاكر، مكتبة ابن تيمية، مصر.
٧- جامع البيان في القراءات السّبع المشهورة لأبي عمرو الدّاني، دار الكتب العلميّة، لبنان.
٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار عالم الكتب، مصر.
٩- حجّة القراءات لأبي زُرْعة، تحقيق أ. سعيد الأفغاني، مؤسّسة الرّسالة، ط ٥، لبنان.
١٠- سنن أبي داوود، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، دار الرسالة العالميّة، مصر.
١١- سنن التّرمذي، تحقيق شاكر وآخرين، ط مصطفى الحلبي، ط ٢، مصر.
١٢- الصّحاح للجَوْهري، دار العلم للملايين، ط ٤، لبنان.
١٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار ابن حيّان، مصر.
١٤- فضائل القرآن لأبي عُبَيْد، دار ابن كثير، سوريا.
١٥- القاموس المُحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرّسالة، ط ٨، لبنان.
١٦- القراءات السّبع لأبي طاهر، تحقيق عبد المهيمن طحّان، رسالة ماجستير.
١٧- الكامل في القراءات العشر لأبي القاسم الهذلي، مؤسّسة سما، الإمارات العربية.
١٨- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف، مصر.
١٩- مباحث في علوم القرآن لمنّاع القَطّان، مكتبة وهبة، مصر.

٢٠- مجموعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية، مكتبة الوفاء، مصر.
٢١- المُحَرَّر الوَجيز في علوم الكتاب العزيز لابن عطيّة، وزارة الأوقاف القطريّة.
٢٢- المُرشِد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز لابن أبي شامة، تحقيق د. وليد الطّباطبائي، مكتبة الإمام الذّهبي، الكويت.
٢٣- مسند الإمام أحمد، تحقيق شاكر وآخرين، دار الحديث، مصر.
٢٤- المنهاج شرح مسلِم بن الحَجَّاج للنّووي، المكتب الثقافي، مصر.
٢٥- موطّأ مالك، تحقيق الأعظمي، طبع مؤسسة زايد، الإمارات.
٢٦- النّشْر في القراءات العشر لابن الجزري، دار الكتب العلميّة، لبنان.
٢٧- النّهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري، دار ابن الجوزي، ط٢، المملكة السعوديّة.

* * * * *

❖ فهرست الموضوعات :

م	الـمـوضـــــــوع	الصّفحة
١	المقدّمة	٢
٢	تخريج حديث الأحرف السّبعة	٣
٣	تعريف الأحرف (لُغَةً)	٤
٤	تعريف الأحرف السّبعة في الاصطلاح	٥
٥	القول في تأويل الأحرف السّبعة	٦
٦	عرض الإمام السّيوطي اثنين وعشرين قولًا في معناها	٦
٧	عرض الإمام الزّركشي لأهمّ ما قيل في معناها	٨
٨	أقرب الأقوال إلى معناها المراد	١٠
٩	التّرجيح بين الأقوال في تأويل المراد بالأحرف السّبعة	١١
١٠	ذكر من قال به من العلماء	١١
١١	نشأة الأحرف السّبعة، وما آلَت إليه	١٩
١٢	أسباب جمع القرآن على عهد أبي بكر ﷺ	١٩
١٣	أسباب جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ	٢٠
١٤	الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف	٢٢
١٥	قول من رأى الحكمة في التّيسير	٢٢
١٦	حقيقة اختلاف الأحرف السّبعة	٢٤
١٧	هل مصاحفنا اليوم بها السّبعة الأحرف	٢٤
١٨	مذاهب العلماء فيما آلَت إليه الأحْرف السّبعة	٢٥
١٩	خاتمة البحث	٢٧
٢٠	فهرت المصادر والمراجع	٢٩
٢١	فهرست المواضيع	٣١

* * * * *